مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

متابعات إفريقية

العدد (١٩) ربيع الأول ١٤٤٣هـ - أكتوبر ٢٠٢١م

تحرير: الدكتور محمد السبيطلي

- د. حكيم ألادي نجم الدين
- تقى النجار
- د. أبوبكر فضل محمد
- د. أحمد يوسف فنك البلول
- شيماء سمير محمد حسين
- مصطفى زهران
- د. ليلى الرطيمات
- د. إدريس دمبا كوريرا

- **«بوكو حرام» و«ولاية غرب إفريقيا» في بحيرة تشاد: الواقع والمستقبل**
د. حكيم ألادي نجم الدين - أكاديمي نيجيري مهتم بشؤون إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى - أبوجا ٨

- **داعش والتمدد في إفريقيا**
تقى النجار - باحث بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية - القاهرة..... ١٧

- **تنظيم داعش في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية (الجذور والانتشار والمخاطر)**
د. أبوبكر فضل محمد - باحث في الدراسات الإستراتيجية - الخرطوم ٢٦

- **التهديدات الإرهابية في السودان بعد ثورة ديسمبر ٢٠١٩م في ضوء التطورات المحلية والإقليمية**
د. أحمد يوسف فنك البلول - باحث في الدراسات الإستراتيجية - الخرطوم ٣٥

- **التنظيمات الإرهابية في إفريقيا بين تحديات المكافحة وآلية استغلال الفرص**
شيماء سمير محمد حسين - باحث متخصص في شؤون الإرهاب والجماعات المسلحة - القاهرة..... ٤٤

- **عسكرة التصوف الطرقي المعاصر وتجربته في دولة الصومال**
مصطفى زهران - كاتب وباحث متخصص في شؤون الجماعات الإسلامية - القاهرة ٥٣

- **الدبلوماسية الأمنية للبلدان المغاربية تجاه دول إفريقيا جنوب الصحراء الواقع والرهانات**
د. ليلى الرطيمات - كلية العلوم القانونية والسياسية - جامعة الحسن الأول - سطات - المغرب ٦٥

- **القوة المشتركة لمجموعة دول الساحل الخمس بين مقتضيات حفظ السِّلم وضرورة احترام حقوق الإنسان**
د. إدريس دمبا كوريرا - أستاذ متعاون بجامعة نواكشوط العصرية،
والمدرسة الوطنية للإدارة والصحافة والقضاء - نواكشوط ٧٤

عسكرة التصوف الطرقي المعاصر وتجربته في دولة الصومال

مصطفى زهران - كاتب وباحث متخصص في شؤون الجماعات الإسلامية - القاهرة

مثّل الاهتمامُ البحثي بصعود الحركات الإسلامية الجهادية في المشهد الصومالي محورَ الاهتمام من لدن كل الخبراء والمحللين والسياسيين، على مدار أكثر من عقدين من الزمان، دون الالتفات إلى البُنى المجتمعية الدينية وتمظهرات الإسلام السني التقليدي في ثوبه الصوفي الضارب في القدم، إلى أن حُصر واختُزل الأنموذج الديني الصومالي في تشكله الجهادي والراديكالي وحسب، واجتُزئ واقتُطع هذا التاريخ الطويل والممتد منذ قرون للإسلام التقليدي السني خاصة مع دوره المقاوم للمحتل الأجنبي في هذه الجغرافية المهمة بالقرن الإفريقي.

لم يلتفت الكثيرون في خضم التحولات الكبيرة التي عايشتها دولة الصومال -ابتداءً من فترة المحاكم الإسلامية التي كانت الطرق الصوفية وجماعة أهل السنة والجماعة جزءًا رئيسًا منها في تسعينيات القرن المنصرم ثم مع بدايات الألفية الثانية- وما تمخض عنها من بزوغ نجم الجهادية العالمية ممثلًا في تنظيمي «القاعدة» و«داعش»، لدور الإسلام السُّني التقليدي وتحديدًا الصوفية الطرقية في مواجهة خطاب التطرف والتشدد الناجمين عن الصعود الجهادي لهذه الحركات الإسلامية من الناحية العقدية من جهة، ودورها العسكري القتالي في محاربة هذه التنظيمات والتحرك بهم من المتن إلى الهامش، ثم محاولة محاصرتهم، خاصة حركة الشباب الصومالية.

لقد لعبت الصوفية الطرقية في نسختها العسكرية دورًا بارزًا ومهمًّا في الوقوف بقوة أمام تحركات حركة الشباب على وجه الخصوص، وأوقفت تمددها في الإقليم بصفة كبيرة، وهو ما يعطي محاولة تسليط الضوء عليها وتتبع محطاتها السياسية والعسكرية في الداخل الصومالي أهمية كبرى، خاصة أننا إزاء تجربة مهمة وجديدة في المشهد الإفريقي عملت على عسكرة الصوفية الطرقية، بما تمثله من تيار إسلامي ديني يقف على النقيض وفي المواجهة في آن واحد، ضد تيار الإسلام الجهادي أو الراديكالي الذي تمثله التنظيمات الجهادية «المعولمة المعاصرة»، خاصة حركة «الشباب» القاعدية الصومالية.

أولًا: تشكلات الحالة الدينية في الصومال

تكونت البُنى المجتمعية الدينية في المشهد الصومالي على مدار القرون السابقة من ثلاثة روافد: عقدية وفكرية ومذهبية رئيسة، تمثل في مجملها دائرة الإسلام «السني» التقليدي، أولها: المنهج الأشعري، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، وثانيها فقه الإمام الشافعي ومدرسته المذهبية التي عَرفت طريقها إلى الصومال من خلال ارتباطها مع اليمن، وثالثها التصوف السلوكي «الطرقي»[١]، وهكذا اعتاد الصوماليون على ممارسة شعائرهم التعبدية على مدار تاريخهم منطلقين من هذه الرؤى الفكرية والعقدية.

وأسهم ذلك في أن يصبح الإسلام مُعبِّرًا عن الهوية الدينية لآلاف الصوماليين، ومعها عرفت الصوفية الطرقية طريقها في المجتمع الصومالي [٢]، فلقد كان التصوف سفيَر الإسلام والمبشر الأكبر له في شرق إفريقيا منذ عشرات السنين، حيث قدمت الصوفية إلى الصومال -كغيرها من البلاد في شرق إفريقيا- بواسطة علماء اليمن والحضارمة الذين استقروا فيما بعد في المدن الساحلية مثل مقديشو وزيلع وبربرة وبراوة ومركة[٣].

ما يعني أنه وقبل ظهور التيارات الإسلامية بنسختها المتشددة السلفية منها والجهادية كانت الشريعة الإسلامية متحققة وقائمة منذ أمد بعيد، وقُبلت ونُفِّذت بدرجات متفاوتة في جميع أنحاء البلاد، وتحديدًا في العصر الإسلامي المبكر، ثم الحقبة الاستعمارية، وما بعد الاستقلال، وقبيل الحرب الأهلية الصومالية التي بدأت في ١٩٩١م، كان جزءٌ كبيرٌ من السكان الصوماليين يمارسون شكلًا من أشكال الإسلام السني التقليدي ذي الصبغة الصوفية، وكانت الصوفية الطرقية ذات تأثير نافذ مجتمعيًّا في جميع أنحاء الصومال.[٤]

المدارس القرآنية

تعد المدارس القرآنية واحدة من أبرز التمظهرات الدينية في المشهد المجتمعي الصومالي على مدار تاريخها لما تمثله كشكل من أشكال النظم التعليمية التقليدية قبيل الاستعمار -الذي قدَّم نظامًا جديدًا مغايرًا

(1) Abdurahman Abdullahi, "The Islamic Movement in Somalia: A Historical Evolution with a Case Study of The Islah Movement (1950-2000)" (PhD in the Modern History of Islam, Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal, 2011), https://central.bac-lac.gc.ca/.item?id=TC-QMM-103487&op=pdf&app=Library&oclc_number=742342437.

(2) Abdullahi, "The Islamic Movement in Somalia: A Historical Evolution with a Case Study of The Islah Movement (1950-2000)".

(٣) محمد حسين معلم علي، "دراسات صومالية.. التصوف والزهد،" الصومال اليوم، (٢٩، يناير، ٢٠٢١م)، https://alsomalalyaum.com/7905/.

(4) United States Agency for International Development (USAID), *The Shari'ah in Somalia, The Expanding Access to Justice Program in Somalia (EAJ)* (Nairobi, Kenya: Pact and the American Bar Association Rule of Law Initiative, 2020), https://www.usaid.gov/sites/default/files/documents/1860/Shariah-in-Somalia.pdf.

تحديثيًّا- حيث كان التعليم «محوره المجتمع ويُدار محليًّا» وكانت المدارس الدينية -المسماة Dugsi أو Malamat- بمنزلة نظام إسلامي يقوم على الحفظ الجزئي أو الكامل للقرآن في الطفولة المبكرة، وبجوار تعلم القرآن الكريم ومدارسته تُعَلَّم الأبجدية العربية والصومالية المعروفة باسم Higaadda [٥].

وعادة ما تنتشر هذه المدارس في القرى والريف الصومالي انتشارًا كبيرًا، حيث يتجمع الأطفال والصبية –الطلاب- تحت شجرة مظللة أو في مأوى مَبنيّ من الخشب المحلي والعشب والجلوس على الأرض أو على حصائر من العشب المنسوج يستخدمون موادَّ محلية مثل الخشب الأردواز والحبر المصنوع من الحليب المزوج بمسحوق الفحم لقراءة أساسيات القرآن، وينضم الأطفال إلى هذا النظام في سن الخامسة، ويتخرج في سن العاشرة أو الحادية عشرة مع المراجعة الثانية من الحفظ كل مدرسة يديرها بصفة مستقلة مدرس يُسمى Macalin، ويدفع أجورَ هؤلاء المعلمين بأسلوب عادل الأفرادُ الذين يرسلون أطفالهم إليها، وتساهم في القضاء على الأمية[٦]، وتشير انتشار المدارس القرآنية إلى التغلغل الإسلامي بصبغته الصوفية الطرقية داخله.

ثانيًا: الصوفية الطرقية في الصومال

حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الصوفية الطرقية –كما عرضنا سابقًا- تمثل روح الإسلام في المجتمع الصومالي، وكانت «الأحمدية» و«الصالحية» التي عرفت طريقها محليًّا، من الطرق الصوفية المهمة آنذاك، وكانت «الأحمدية» في الغالب غير سياسية، وفي الوقت ذاته تدعو إلى التزام أكثر صرامة للشريعة الإسلامية، ولكن اللافت في المنحى الصوفي الطرقي الآخذ في الانتشار والتمدد في البنى المجتمعية هناك أن أحد أسبابه كانت مصاهرته مع الكثير من الأعراف والتقاليد القبلية -نظام العشائر الصومالية- المنتشرة المتوارثة في المجتمع الصومالي، التي وافقته في جزء كبير منه، ولم تتصادم معه أو تواجهه؛ فعملت على دمج العديد من التقاليد الثقافية الصومالية والطقوس الدينية قبل الإسلام في الصوفية والممارسات، بما في ذلك التعبير الديني من خلال الموسيقى والشعر والرقص، والحج إلى مواقع الدفن، وتبجيل المشايخ[٧].

وينحدر التصوف السُّني «الطرقي» بالصومال من ثلاث طرق صوفية رئيسة كان لها عظيم الأثر في التصوف الصومالي، أولها «الطريقة الأحمدية» التي تأسست في مكة المكرمة على يد الشيخ أحمد بن إدريس

(5) Abdullahi, "The Islamic Movement in Somalia..".

(6) Abdullahi, "The Islamic Movement in Somalia..".

(7) United States Agency for International Development (USAID), *The Shari'ah in Somalia, The Expanding Access to Justice Program in Somalia (EAJ)*.

(ت ١٨٣٧م)، أحد الزعماء الذين تصدوا لدعوة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب النجدي» آنذاك وعارضها بقوة، فيما جلبها إلى الصومال الشيخ علي ماي دوروغبا (ت ١٩١٧م)[٨].

وثانيها: الطريقة القادرية، التي تأسست في دمشق أواسط القرن الرابع عشر، وتنتسب إلى عبدالقادر الجيلاني، وانتشرت في شمال إفريقيا والشرق الأوسط بحلول نهاية القرن الرابع عشر، وإلى غرب إفريقيا وجنوب شرق آسيا بحلول القرن التاسع عشر. وكان أويس البراوي (ت ١٩٠٩) -أشهر شيوخ القادرية في الصومال- يجتذب في احتفاله السنوي بجنوب الصومال حشودًا تصل إلى عدة آلاف من الصومال وكينيا، وأتباعه عادة ما كانوا يعرفون باسم «العويصية» [٩]، وأخيًرا «الصالحية» وهي فرع من «الأحمدية»، وكان أشهر مشايخها في الصومال الزعيم محمد عبدالله حسن (ت ١٩٢٠م)، الذي حوّل التنظيم إلى حركة مناهضة للاستعمار عُرف أعضاؤها بـ»الدراويش»[١٠].

حركة الدراويش

كانت حركة الدراويش جزءًا من موجة الحركات الإسلامية المناهضة للاستعمار بقيادة الطرق الصوفية في شمال إفريقيا والسودان، التي قادها الشيخ محمد عبدالله حسن[١١] أشهر المتصوفة الصوماليين على امتداد التاريخ الحديث والمعاصر، الذي أطلق عليه الشيخ غُبيسَني Gobeysane أو (الشهم)، ويذكر أنه قبل البدء في قيادة الحركة لمواجهة الاستعمار عاش فترة في القاهرة من الزمن، وعايش علماء الأزهر، وتعلم وتناقش معهم في شتى المجالات، وفي أثناء عودته في طريقه إلى الصومال مرَّ على السودان، ومكث برهة من الزمن في منطقة السواكن، التي كان المهدي السوداني -نسبة إلى المهدية الطريقة الصوفية الشهيرة- يدرب جيوشه فيها، ويجمع رجاله الذين خاضوا معارك مريرة ضد الاحتلال الإنجليزي، فكانت هذه الزيارة بمكانة شعلة أضاءت له طريق الجهاد، وتجربة ناجحة بكل المقاييس، استفاد منها أمورًا كثيرة مثل التكتيك العسكري والقيادة الميدانية والانضباط الحركي والتنظيمي وإدارة المعارك في ظل ظروف أمنية صعبة وحالة معيشة معقدة[١٢].

(8) "Sufism in Somalia," *Religion and Public Life at Harvard Divinity School*, https://rpl.hds.harvard.edu/faq/sufism-somalia.

(9) "Sufism in Somalia," *Religion and Public Life at Harvard Divinity School*.

(10) "Sufism in Somalia," *Religion and Public Life at Harvard Divinity School*.

(11) (USAID), *The Shari'ah in Somalia, The Expanding Access to Justice Program in Somalia (EAJ)*.

(١٢) "المناضل السيد محمد عبد الله حسن.. مفجر ثورة الدراويش،» المركز العراقي الإفريقي للدراسات الاستراتيجية، (١٩، مايو، ٢٠١٨م)، http://ciaes.net/المناضل-السيد-محمد-عبد-الله-حسن-مفجر-ث/.

شنَّت القوات الاستعمارية حملة عسكرية منسقة ضد حركة الدراويش الصومالية، وانتهت الحركة بوفاة السيد محمد عبدالله حسن عام ١٩٢٠م، وظلت الصوفية الطرقية حاضرة على إرث المؤسسين والمجاهدين[١٣].

تحولات الصوفية الطرقية

يذكر الكاتب والباحث الصومالي عبدالواحد عبدالله شافعي أن الإسلام في الصومال ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالطرق الصوفية نشرًا ودعوةً وتعليمًا، إلا أن هذا الارتباط التاريخي تعرض لأكبر تحدٍ، منذ أن ظهرت الحركات الإسلامية المعاصرة، خاصة التيارات السلفية التي قدمت رؤية عقدية سلفية مغايرة للرؤية العقدية الأشعرية الصوفية[١٤].

ويضيف أنه منذ الثمانينيات من القرن الماضي بدأ السجال بين الجماعات الصوفية والجماعات السلفية، وحينما انهارت الدولة الصومالية في عام ١٩٩١م استغلت الجماعات السلفية هذا الفراغ، وكثّفت من نشاطاتها، وتمددت تمددًا هائلًا في البلاد، مما قلّص أو قلّل من تأثير ونفوذ الطرق الصوفية[١٥].

ويشير عبدالواحد إلى أن الجماعات الصوفية في الصومال، مثلها كمثل الجماعات الصوفية الأخرى في العالم الإسلامي، عرف عنهم الانزواء عن المشاركة في العمل السياسي، وكانوا يركزون تركيزًا أساسيًّا على الجانب الروحي والتربية، بيد أن ذلك كله تغير منذ أن بدأت حركة الشباب الصومالية المحسوبة على تنظيم القاعدة في الظهور، ومسارعتها نحو التصدي لممارسات الصوفية الطرقية، وعملت على نبش أضرحة رموز الطرق الصوفية، وهدم مزاراتهم في المناطق الجنوبية، الأمر الذي أثار استياء مشايخ الصوفية، ما حفزهم على حمل السلاح والدفاع عن أنفسهم، وحققوا في ذلك نصرًا كبيرًا ساهم في محاصرة التنظيم القاعدي[١٦].

مواجهة حركة الشباب القاعدية

تتمثل وجهة حركة الشباب القاعدية للمتصوفة على أنهم «مرتدون عن الإسلام -وفق ما أشار التقرير السنوي للجنة الأمريكية للحرية الدينية الدولية (USCIRF) لعام ٢٠١١م- وأن ممارساتهم وشعائرهم ما هي سوى وثنية جاهلية»[١٧]، وتشير ممارسات الحركة التي أبدتها خلال حضورها في المشهد الصومالي

(13) (USAID), *The Shari'ah in Somalia, The Expanding Access to Justice Program in Somalia (EAJ)*.

(١٤) «مقابلة عبر برنامج السكايب مع الباحث الصومالي عبدالواحد عبدالله شافعي،» (١٩، أغسطس، ٢٠٢١م).

(١٥) «مقابلة عبر برنامج السكايب مع الباحث الصومالي عبدالواحد عبدالله شافعي.»

(١٦) «مقابلة عبر برنامج السكايب مع الباحث الصومالي عبدالواحد عبدالله شافعي.»

(17) Immigration and Refugee Board of Canada, *Somalia: Situation of practitioners of Sufism in Mogadishu; incidents of violence involving al Shabaab [Al-Shabaab] and practitioners of Sufism; security situation and availability of state protection in Mogadishu (2013-November 2014)* (Canada: Immigration and Refugee Board of Canada, 2014), https://www.refworld.org/docid/551d094a4.html.

تجاه الصوفية الطرقية ترجمة حقيقية لأفكارها ومعتقداتها تجاهها.

وما بين الأعوام الممتدة بين ٢٠٠٨ و٢٠١٠م استهدفت حركة الشباب عددًا كبيرًا من مشايخ ورموز الصوفية الطرقية، وتدنيس الأضرحة والمقامات الصوفية في المجتمعات الجنوبية، مثل: مدينة كيسمايو الساحلية، فضلًا عن مداهمة المساجد خلال الحضرات وغيرها، بالإضافة إلى تدمير العديد من القبور في مقديشو، واعتقال العديد من رجال الدين أيضًا [١٨].

وما لبثت أن ساهمت العمليات العسكرية الإفريقية والصومالية في طرد الجيوب القاعدية من العاصمة مقديشيو، التي بدأت في عام ٢٠١١م واكتملت مع ٢٠١٤م حينما بدأ تحرير جنوب ووسط الصومال من قبضة حركة الشباب، ما نتج عنه تراجع كبير للحركة وخسارة الكثير من مقاتليها في المعارك، دفعها بعد ذلك إلى التحول نحو صياغة آلياتية مغايرة في معركتها مع الدولة الصومالية عبر تنفيذ هجمات انتحارية وعمليات اغتيال تستهدف مسؤولين أمنيين وعسكريين وقادة دينيين وغيرهم، فضلًا عن تفجيرات هنا وهناك[١٩].

عسكرة التصوف الطرقي في الصومال

تنفست الصوفية الطرقية -وزعاماتها ومريدوها ومجالسهم وحضراتهم- الصعداء بعد الخسارات التي مُنيت بها حركة الشباب وتراجعها بفعل الضربات الأمنية الموجعة للحكومة الأفغانية وقوى الاتحاد الإفريقي الأخرى[٢٠].

إلا أنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الصوفية الطرقية في الصومال كانت جزءًا أصيلًا ورئيسًا في العمليات العسكرية ضد حركة الشباب، بل كانت في المقدمة وفي طليعة جنود الدولة الصومالية، ما دفعهم بعد ذلك بالشعور بالقوة، الذي دفعهم للحضور السياسي -كما سنبين لاحقًا- إذ إن عسكرة الصوفية الطرقية بدأت بالأساس حينما شعر الصوماليون بضرورة الحفاظ على مراقدهم ومزاراتهم ووجودهم من أن تنالهم أيدي «الشباب»، التي قامت بعمليات تفجير لكثير منها، فضلًا عن قتل رموزهم ومشايخهم[٢١]، فيما بلغ عدد مقاتلي الصوفية الطرقية المنضمين إلى قوات الجيش الوطني الصومالي ما يقارب من ٥,٠٠٠ مقاتل، وهو رقم ليس بالهين آنذاك، وكانت المجموعة المحلية الوحيدة التي واجهت مقاتلي الشباب[٢٢].

(18) Immigration and Refugee Board of Canada, *Somalia: Situation of practitioners of Sufism in Mogadishu*.

(19) Immigration and Refugee Board of Canada, *Somalia: Situation of Practitioners of Sufism in Mogadishu*.

(20) Abdi Guled, "Somalia's Sufis Make Return to the Light," *The Scotsman*, May 13, 2013, https://www.scotsman.com/news/world/somalias-sufis-make-return-light-1574756.

(21) Guled, "Somalia's Sufis Make Return to the Light".

(22) Al Jazeera English, "Somalia: About 5,000 Sufi fighters join army," *YouTube*, Sep 19, 2019, https://www.youtube.com/watch?v=NSf_7NIc6cE.

ثالثًا: تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال

اعتادت الصوفية الطرقية اعتزال العمل السياسي والنأي بنفسها عن معتركه، إلا أن المشهد الصومالي كان مغايرًا لحد كبير في هذه الزاوية بفعل السياقات المولدة له، ففي عام ١٩٩١م اجتمع عدد من قيادات ورموز الصوفية الطرقية من أجل تشكيل جبهة موحدة لمجابهة الإسلامية السلفية المتشددة، وتحديدًا حركة الشباب المناهضة للدولة والمتصوفة[٢٣].

وأشرف على إنشائها الجنرال الراحل «محمد فارح عيديد»، الذي كان يعد الطرق الصوفية قوة مضادة للحركات الإسلامية الجهادية، مثل الاتحاد الإسلامي -التي تمخضت عنه اتحاد المحاكم الشرعية-، وبعد مقتل الجنرال عيديد في إحدى جولات الحرب الأهلية بالعاصمة مقديشو عام ١٩٩٦م، ضعف الدور السياسي والعسكري للطرق الصوفية مقابل صعود الجماعات الإسلامية المتشددة[٢٤].

عايش التنظيم فترات صعود وهبوط نتيجة التحولات التي عايشتها الدولة الصومالية والمعارك الأهلية في فترة التسعينيات، بيد أن التنظيم قد عاود الظهور على مسرح الأحداث مرة أخرى عام ٢٠٠٨م في الأقاليم الوسطى وبعض الأقاليم الجنوبية، وبرز دوره العسكري في مواجهته لحركة الشباب الصومالية في إقليم «غل غدود» وسط الصومال، و«دوسمريب» عاصمة ولاية غلمدغ الحالية التي ستصبح فيما بعد أحد أهم تمركزاته المهمة كما سنبين لاحقًا[٢٥]، وتحالف مع قوات بعثة الاتحاد الإفريقي في الصومال وقوات الحكومة الفيدرالية[٢٦].

الدور السياسي للتنظيم وأيديولوجيته

لم تكن الرغبة ذاتية لدى الصوفية الطرقية في التحول نحو العمل السياسي بل كان السياق هو المحرك الذي دفع بها نحو معتركه، فكانت الحاجة إلى تثبيت وجودها في المشهد الصومالي، فانتقلت من شكلها التقليدي المتمثل في تأسيس الزوايا وتدريس العلوم الشرعية والعربية إلى تأسيس المعاهد والمدارس والجامعات[٢٧].

ما يعني تعزيز حضوره المدني المجتمعي ما أهّل له حضورًا سياسيًّا مؤثرًا بدا في تحالفهم ودعمهم للرئيس السابق شيخ شريف، ونجحوا إلى حد كبير في السيطرة العسكرية على معظم المناطق التي دارت فيها

(23) "Sufism in Somalia," *Religion and Public Life at Harvard Divinity School*.

(٢٤) عبد الرحمن عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين،» مركز مقديشو للبحوث والدراسات، (١٠، أغسطس، ٢٠١٩م)، http://mogadishucenter.com/2019/08/تنظيم-أهل-السنة-والجماعة-في-الصومال-ا/.

(٢٥) صفاء عزب، «هل تزيل زيارة فرماجو لـ'غلمدغ' التوتر بين'أهل السنة' والحكومة الفيدرالية؟،» الصومال الجديد، (٢٤، سبتمبر، ٢٠١٩م)، http://alsomal.net/هل-تزيل-زيارة-فرماجو-لغلمدغ-التوتر-ب/.

(٢٦) عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين.»

(٢٧) عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين.»

الحروب بين حكومة شيخ شريف وحركة الشباب، وفي ٢٠١٠م انضم التنظيم إلى الحكومة الفيدرالية الانتقالية، وفي ٢٠١٣م أعلنت الحكومة الصومالية انضمام قوات أهل السنة إلى الجيش الصومالي بحضور قائد أركان القوات آنذاك عبد الرزاق خليف علمي[٢٨].

وحصل التنظيم على عدد من الحقائب الوزارية في الحكومة الانتقالية التي كان يتزعمها الرئيس الأسبق «شريف شيخ أحمد»، وكان أحد الأطراف الستة التي وقعت على خريطة الطريق لخروج الصومال من المرحلة الانتقالية عام ٢٠١٢م[٢٩]. ومع مرور الوقت اشتد عود التنظيم وقويت شوكته إلى أن تجاوز دوره الصوفي الدعوي وأصبح رقمًا صعبًا في المشهد السياسي الصومالي[٣٠].

ويعد تنظيم أهل السنة والجماعة تيارًا محافظًا، إذ كان يضم ثلاث طرق صوفية (القادرية، الصالحية، الأحمدية)، فيما صنّفته وزارة الخارجية الأمريكية من القوى الإسلامية المعتدلة، وتعاملت معه كحليف إستراتيجي ضد الحرب على الإرهاب في الصومال، خاصة في المواجهة مع حركة الشباب التي تراه فاسدًا وغير شرعي[٣١].

أزمات أهل السنة والحكومة الفيدرالية

أعقبت الانتصارات العسكرية التي حققها التنظيم وحضوره السياسي القوي في المشهد الصومالي إقامة نظام إداري مستقل في المناطق التي وقعت تحت سيطرته، تسببت مع الوقت في نشوء خلافات مع الحكومات الفيدرالية التي عاصرتها، ووصل الخلاف في بعض الأوقات إلى مواجهات عسكرية [٣٢]، ما جعلها تدخل في مرحلة جديدة من الصراع ليس مع حركة الشباب هذه المرة وإنما مع الحكومة الصومالية التي كانت حليفتها في الماضي القريب.

- أزمة ولاية غلمدغ

تعد ولاية غلمدغ مركزًا رئيسًا لتنظيم أهل السنة والجماعة، ونجحت الأخيرة في إخضاعها لحوكمتها، الأمر الذي أشعر الحكومة الفيدرالية أن كيانًا موازيًا للدولة بات يكبر ويتمدد يومًا بعد يوم على حساب الدولة الناشئة، وعلى الضفة الأخرى ارتأى الشيخ محمد شاكر رئيس الولاية والقيادي في تنظيم أهل السنة والجماعة أن الحكومة تعمل على زعزعة الاستقرار في الولاية نتيجة تدخلاتها غير المقبولة.

---

(٢٨) عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين.»

(٢٩) عزب، «هل تزيل زيارة فرماجو لـ'غلمدغ' التوتر بين'أهل السنة' والحكومة الفيدرالية؟.»

(٣٠) عزب، «هل تزيل زيارة فرماجو لـ'غلمدغ' التوتر بين'أهل السنة' والحكومة الفيدرالية؟.»

(٣١) عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين.»

(٣٢) عبدي، «تنظيم أهل السنة والجماعة في الصومال.. النشأة والتكوين.»

اتهم الشيخ الشاكر السلطات الحكومية استعانتها بقيادات سابقة من حركة الشباب لغزو المدينة عسكريًّا لنزع سلطتهم منها، ثم طالب سكان الولاية بالدفاع عن أنفسهم والحفاظ على أمنهم أمام التدخل العسكري الحكومي، وطالب زعماء تنظيم أهل السنة آنذاك المجتمع الدولي بتحمل مسؤوليته في هذه الأزمة، ولولا تدخل شيوخ العشائر في دوسمريب عاصمة الولاية للتوسط لحل هذا الخلاف بين التنظيم والحكومة لازداد الأمر سوءًا ولاستمرت رحى المعارك وقتًا أطول.

لقد ظلت العلاقة بين تنظيم أنصار السنة وحكومة الرئيس حسن شيخ محمود منذ وصوله إلى السلطة في سبتمبر ٢٠١٢ إلى ٢٠١٥م في حالة شد وجذب بينهما، ما دفع بأهل السنة إلى عدم مشاركتها في النظام الإداري لولاية «غلمدغ» الذي أسسته حكومة حسن شيخ محمود، ما ترتب عليه وجود نظامين إداريين في الولاية، أحدهما يترأسه «عبد الكريم حسين جوليد» ويحظى باعتراف الحكومة الفيدرالية والمجتمع الدولي، والثاني خاص بتنظيم أهل السنة غير معترف به من قبل الحكومة الفيدرالية والمجتمع الدولي في ذلك الوقت. وإضافة إلى ذلك، كان هناك مركزان للإدارتين هما «عدادو» التي كانت مقرًّا للحكومة الإقليمية المعترف بها رسميًّا، و«دوسمريب» التي كانت مركزًا للتنظيم. فيما تحسنت العلاقة بين التنظيم والحكومة الفيدرالية بعد استقالة عبد الكريم جوليد رئيس ولاية غلمدغ ومجيء أحمد دعالي حاف خلفًا له، أعقبها إبرام اتفاقية جيبوتي للتصالح في ديسمبر ٢٠١٧م، ما ساهم في تحول التنظيم إلى شريك أساسي وقوي في حكم الولاية، وما لبث أن ساءت العلاقات مرة أخرى وعادت الخلافات بين «دعالي حاف «والحكومة الصومالية الاتحادية. وفي عام ٢٠١٩م أعلنت ولاية غلمدغ عن انتخابات جديدة وضمَّت الحكومةُ القواتِ الخاصةَ من تنظيم أهل السنة للجيش الصومالي مقابل أن تحافظ الحكومة الصومالية الفيدرالية على استتباب الأمن في عاصمة الولاية، وبالفعل في الأسبوع الأول من شهر يوليو من العام نفسه سلّم تنظيم أهل السنة والجماعة جميع قواته إلى الحكومة الصومالية الفيدرالية في حفل كبير بمدينة دوسمريب وسط الصومال، وذلك قبل أن تتوتر العلاقة ثانية نهاية أغسطس من العام ذاته[٣٣].

- أزمة مدينة «دوسمريب»

في عام ٢٠١٩م وبعد تفاقم الخلاف بين الحكومة الصومالية وتنظيم أهل السنة والجماعة، خيمت أجواء حرب على مدينة «دوسمريب» ولاية غلمدغ، وزاد من وتيرته إطلاق جندي حكومي النار على مقر الشيخ محمد شاكر رئيس الولاية والقيادي بالتنظيم[٣٤].

---

(٣٣) عزب، «هل تزيل زيارة فرماجو لـ'غلمدغ' التوتر بين'أهل السنة' والحكومة الفيدرالية؟.»

(٣٤) «الصراع بين الحكومة الصومالية وأهل السنة في غلمدغ،» الصومال الجديد، (٢٦، أكتوبر، ٢٠١٩م)، http://alsomal.net/الصراع-بين-الحكومة-الصومالية-وأهل-الس/.

على الفور استنفرت القوات التابعة لتنظيم أهل السنة ردًّا على التصعيد العسكري الحكومي، ونجحت في الاستيلاء على مقر إدارة مدينة «دوسمريب»، إلا أن اتفاقًا بين الطرفين ساهم في تهدئة الأمور لبعض الوقت، إلى أن جاء تعيين الحكومة الفيدرالية لجنة لتسيير انتخابات ولاية غلمدغ دون الاستشارة مع تنظيم أهل السنة إلى تجدد الخلاف مرة أخرى والمواجهات العسكرية ما دفع برئيس حكومة غلمدغ والقيادي في التنظيم الشيخ محمد شاكر بتعيين لجنة انتخابات موازية[٣٥].

الأمر الذي دفع بوزير الداخلية الصومالي آنذاك «عبدي محمد صبري» إلى الانتقال إلى المدينة لإقناع مسؤولي أهل السنة بقبول اللجنة التي عينتها وزارته، ووسط تعنت التنظيم وإصراره على موقفه واصلت الحكومة مشروعها في غلمدغ دون التفات لمعارضة أهل السنة له[٣٦]. بيد أن زيارة للرئيس محمد عبدالله فرماجو للولاية التقى خلالها زعماء وقيادات أهل السنة ساهمت في تضييق الهوة ورأب الصدع بين الحكومة الفيدرالية والتنظيم[٣٧].

وفي أواخر عام ٢٠١٩م بعث التنظيم رسالة إلى ممثلي المجتمع الدولي في الصومال شملت محاور الأزمة السياسية والأمنية في البلاد متضمنة صورة من الاتفاقية المتفق عليها مع الحكومة التي لم تلتزم بما وقّعه وزير الداخلية والشؤون الفيدرالية والمصالحة عبدي محمد صبري آنذاك[٣٨].

إشكالية العلاقة بين أنصار السنة والدولة الصومالية

تتمثل المشكلة الرئيسة من قبل الدولة الصومالية في تعاملها مع ملف أنصار السنة منذ بدايات الأزمة في رغبتها أن تعيد قيادات هذا التنظيم إلى المربع الأول في هيئته الدعوية التأسيسية، وإبعاده عن المشهد السياسي ككل، لكنها لم تكن قادرة بالبوح به أو الإعلان عنه، وذهبت إلى محاولات قصقصة أجنحته من خلال محاصرة وجوده السياسي والحد من نفوذه المجتمعي، وعدم تنفيذ اتفاقياتها معه، التي وُصِل إليها كحلول لمجمل مشكلاتهم البينية، فيما وصلت في كثير منها إلى المواجهة العسكرية.

في موازاة ذلك كان لدى قيادات أنصار السنة الرغبة الجامحة في الحضور السياسي اتكاءً على تاريخها العسكري ودورها في مواجهة حركة الشباب عسكريًّا، وتحقيق بعض الأهداف الخاصة على حساب الدولة والنظام الفيدرالي، الأمر الذي لم يكن بمقدور الدولة التي حاربت نموذجًا إسلاميًّا متشددًا وراديكاليًّا

(٣٥) «الصراع بين الحكومة الصومالية وأهل السنة في غلمدغ.»

(٣٦) «الصراع بين الحكومة الصومالية وأهل السنة في غلمدغ.»

(٣٧) عزب، «هل تزيل زيارة فرماجو لـ'غلمدغ' التوتر بين'أهل السنة' والحكومة الفيدرالية؟.»

(٣٨) «تنظيم أهل السنة يكشف عن اتفاقيته مع الحكومة الصومالية في رسالة إلى المجتمع الدولي،» الصومال الجديد، (٢٩، أكتوبر، ٢٠١٩م)، http://alsomal.net/تنظيم-أهل-السنة-يكشف-عن-اتفاقيته-مع-الح/.

استبدال آخر به، وإن كان صوفيًّا ومقبولًا دوليًّا، ونظرت إليه مع مرور الوقت على كونه كيانًا موازيًا يهدد واقع الدولة الوليدة.

ويذكر أن تنظيم أنصار السنة قبيل إعلانه اعتزال العمل السياسي ودمج قواته في الجيش الصومالي سعى إلى أن تكون له حصة في برلمان ولاية غلمدغ، وتشكيل إدارتها، إضافة إلى رغبتها في ذلك الوقت في الحصول على ترقيات لمقاتلي التنظيم الذين أدمجوا في القوات الحكومية، لكن الحكومة اشترطت لتحقيق ذلك أن يتعاون معها قيادات التنظيم في الإطاحة برئيس رئيس ولاية غلمدغ آنذاك «أحمد دعالي حاف»، الذي كان أحد خصومها السياسيين وهو ما تحقق بالفعل، إلا أنه وبعد ما حققت الحكومة ما كانت تهدف إليه انقلبت على التنظيم، ولم تحقق بنود الاتفاق وتملّصت من عهودها معه[٣٩]، وهي أحد أهم المواقف السياسية في تاريخ التنظيم الذي أشعرته أنه لن يصمد طويلًا أمام القوى السياسية والعسكرية للحكومة الصومالية.

ومع النصف الأول من العام الماضي وبعد معارك عسكرية خاضها تنظيم أنصار السنة مع القوى الحكومية خسر خلالها الكثير من مقاتليه، وفقد مراكزه الرئيسة في «دوسمريب» و«غلمدغ»؛ أعلن محمود شيخ حسن زعيم تنظيم أهل السنة والجماعة انسحاب التنظيم من العمل السياسي انسحابًا كاملًا، مؤكدًا أن التنظيم سيواصل نشاطه الدعوي وجهوده في حماية عقيدة أهل السنة والجماعة[٤٠]. وأعلن قادة التنظيم تنازلهم لصالح الشعب الصومالي فيما يتعلق بقيادة ولاية غلمدغ[٤١].

الخلاصة

أثبتت تجربة عسكرة الصوفية الطرقية في الصومال، رسوخ المسلك الصوفي في وجدان المجتمع الصومالي، وأنه جزء لا يتجزأ من البنى المجتمعية هناك، ما يعني أن الظهور السلفي يمثل حالة طارئة ووافدة وليست أصيلة، والدفع بها نحو العمل العسكري لمواجهة حركة الشباب ودورها الفاعل ونجاحه في تحقيق ذلك سيظل حائلًا في معاودة الحركة تموضعها مجددًا في الداخل الصومالي، فهي القوة الوحيدة ذات البعد الأيديولوجي القادرة على صد هجمات الحركة إن عادت مجددًا.

بيد أن الخطأ الذي أوقعت جماعة أنصار السنة نفسها في المشهد الصومالي هو ما راودها من طمع في جني ثمار تحققها العسكري من خلال الحصول على مكتسبات سياسية من خلال الانفراد بالحكم والسلطة في

---

(٣٩) «تنظيم أهل السنة يكشف عن اتفاقيته مع الحكومة الصومالية في رسالة إلى المجتمع الدولي.»

(٤٠) «تنظيم أهل السنة يعلن انسحابه من العمل السياسي،» الصومال الجديد، (٢٩، فبراير، ٢٠١٩م)، http://alsomal.net/تنظيم-أهل-السنة-يعلن-انسحابه-من-العمل-ا/.

(٤١) «نهاية المسيرة السياسية لتنظيم أهل السنة والجماعة في غلمدغ،» الصومال الجديد، (٢٩، فبراير، ٢٠١٩م)، http://alsomal.net/نهاية-المسيرة-السياسية-لتنظيم-أهل-الس/.

الولايات التي تتمتع فيها بحضور ووجود شعبي كبير لأفرادها، وهو أمر في غاية الخطورة، إذ يعد مقدمة لتجزئة المجزأ وتقسيم المقسم، وبذلك تتحول الجماعة من دور داعم للدولة الوطنية إلى تهديد آخر لا يقل عن خطورة ما كانت تمثله حركة الشباب القاعدية في الصومال من تفجيرات وقتل وتقسيم للبلاد.

ويحيلنا المشهد بأكمله إلى خطورة ما تقدم عليه التيارات الإسلامية بتنويعاتها المختلفة، من مزج السياسي بالدعوي، وتداعياته على المشهد السياسي، وما تحدثه من اضطرابات وانقسامات نتيجة ما تحدثه من إرباك، وهو ما دفع بأنصار السنة بعد فشل تجربتها -التي كانت ستدفع بالدولة الصومالية إلى معاودة مشهد الحرب الأهلية- نحو اعتزال العمل السياسي، وضم مقاتليها للجيش الوطني الحكومي بالصومال، بعد تجربة سياسية وعسكرية راح ضحيتها المئات جراء هذا الإشكال «خلط الدعوي بالسياسي» ما يخلق بدوره كيانًا موازيًا يجابه ويناقض شكل الدولة المعاصرة، ويسبب ذلك مزيدًا من التراجع والتخلف عن عملية التحديث الواجبة.